لغة الشعر ـ فيما يرى المحدثون ـ تحمل سمات خاصة به وحده ، واعتباره ممثلا للغة المشتركة يفرض على الباحث وعلى الاستعمال العادى للناس عنتا شديداً ، كما يؤدى خلطه بغيره فى الدراسة أيضا إلى النتائج نفسها ، والمنهج الصحيح هو الاعتماد فى الدراسة على النصوص النثرية باعتبارها وسيلة الاستعمال العادى والغالب الذى لا يخضع للتوتر الفنى ومطالب الموسيقى ، سواء أخذت هذه النصوص سماعا من الناطقين أنفسهم ، أو رويت عن عصور سابقة بشرط أن يتوفر لها وسائل التوثيق والضبط ، ومع ذلك تدرس لغة الشعر مراعى فيها أنها مستوى متفرد من الاستعمال العام ، وأنها فى الوقت نفسه غير منقطعة تماماً عن النثر .

● يقول ولفنسون : فالأحاديث الصحيحة أهم كثيراً فى نظرنا أثناء البحث اللغوى من الشعر الجاهلى الصحيح ، لأنها من النثر ، وهو دائماً يعطى الباحث اللغوى صورة صحيحة لروح عصره ، بخلاف الشعر ، لأنه يحتوى على كثير من الصيغ الفنية والعبارات المتكلفة التى تبعده عن تمثيل الحياة العادية الحقة (١) .

وفى ضوء ما سبق يتضح أن اهتمام النحاة العرب بنصوص الشعر لم يكن خطأ فى ذاته ، وقد كان لهم عذرهم فيما اعتقدوه من أن الشعر هو المادة اللغوية التى يمكنهم الاطمئنان إلى صحتها وصحة روايتها .

لكن هذا الإعذار لهم لا يمنع من ذكر المآخذ التى توجه إلى صيغ النحو بالصبغة الشعرية . ومما يؤخذ عليهم فى ذلك أنهم خلطوا فى الدراسة بين الشعر والنثر مع الاهتمام بالشعر ، والصحيح فى الدراسة الاعتماد على النثر أساساً ، وكان ذلك ممكناً لهم بدراسة لغة القرآن والحديث والخطب

---

(١) تاريخ اللغات السامية ص ٢١١ .